

العقيدة - العقيدة والإعجاز - الدرس (١٩-٣٦) مقومات التكليف : الشهوة -٥- الفرق بين اللذة والسعادة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠١-٠٦

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. أيها الإخوة الكرام، مع الدرس التاسع عشر من دروس العقيدة والإعجاز، لكن قبل أن نبدأ بموضوع الدرس سنذكركم بهيكلية هذه الموضوعات.

#### هيكلية موضوعات الإعجاز:

في أول درس أكدت لكم أن علة وجود الإنسان أن يعبد الله، والعبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، إذاً: علة وجودنا أن نعبد، وما أمرنا أن نعبد إلا بعد أن أعطانا مقومات هذه العبادة، وأول مقوم من مقومات العبادة هذا الكون الذي ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، وهو الثابت الأول، هو قرآن صامت، والقرآن كونه ناطق، والنبى عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي.

وقد وقفنا وقفات متأنية عند الكون، والمقوم الثاني هو العقل، وهو مناط التكليف، وكيف أن في العقل مبادئ ثلاثة، مبدأ السببية، مبدأ الغائية، مبدأ عدم التناقض، وأن العقل مهمته قبل النقل التأكد من صحة النقل، ومهمته بعد النقل فهم النقل، ولا يمكن أن يكون العقل حكماً على النقل، وأمضينا دروساً عدة في موضوع العقل.

ثم انتقلنا إلى الفطرة، وكيف أن الإنسان فطر فطرة سليمة، هذه الفطرة متطابقة تطابقاً تاماً مع منهج الله، فالعقل مقياس علمي، والفطرة مقياس نفسي، والكون دليل حسي.

ثم انتقلنا إلى الشهوة، وبينت لكم أنها القوة المحركة، وهي حيادية، يمكن أن تكون سلماً نرقى بها، أو دركات نهوي بها، وبينت في دروس عدة الفرق بين الفطرة والصبغة، وكيف أن الإنسان المؤمن يتمتع بالعدالة والضبط، وكيف أن الإنسان إذا سلك طريق شهوته يتعرض لمراحل علاجية من الله عز وجل، أولها الهدى البياني، ثم التأديب التربوي، ثم الإكرام الاستدراجي، ثم القصم، ولازلنا في موضوع الشهوة.

اليوم أريد أن أبين لكم فرقاً دقيقاً بين اللذة والسعادة، والبون شاسع بينهما.

١ - طابع اللذة حسي:

أيها الأخوة، اللذة حسية طابعها حسي تحتاج إلى مادة، اللذة تحتاج إلى طعام تأكله، تحتاج إلى منظر جميل تمتع عينيك به، تحتاج إلى مأوى واسع دافئ، تحتاج إلى مركبة تركيبها، تحتاج إلى زوجة تنزوجها، تحتاج إلى مال تنفقه، فاللذائذ طبيعتها حسية، لا تأتي من الداخل، بل تأتي من الخارج، تحتاج إلى بيت، إلى مال، إلى أثاث في البيت، إلى طعام، إلى شراب، إلى زوجة، إلى شراب... والزوجة تحتاج إلى زوج فهناك تكافؤ.

٢ - اللذة إمدادها منقطع:

لكن سبحان الله ! لحكمة بالغة أرادها الله لم يشأ ربنا جل جلاله أن تمدك اللذة بإمداد مستمر، بل إمداد متناقص، فكل لذة لها فورة، وبعدئذ تصبح شيئاً مألوفاً تفقد بريقها، لذلك هؤلاء الذين نجحوا في الحياة بعد أن نجحوا شعروا بالفراغ، لأن في النفس فراغاً لا يملؤه المال، ولا المرأة، ولا المنصب، ولا مباحج الحياة.

لا بد من توضيح هذه الحقيقة، أنت أيها الإنسان، أنت مهياً لمعرفة الله، فطبيعة نفسك لا نهائية، الخطر الكبير أن تختار هدفاً محدوداً، قيل أن تصل إليه أنت تحلم به، فإذا وصلت إليه، وأحطت به شعرت بفراغ لا يوصف، لأنك اخترت المحدود، وأنت مهياً للمحدود، اخترت شيئاً يموت، وأنت مهياً للإله عظيم حي باق على الدوام.

أنا أقول للشباب: الشيء الذي لم تصلوا إليه يبدو لكم كبيراً جداً، ويبدو متألماً، فإذا وصلتكم إليه خبا بريقه، وصغر حجمه، ويمكن في مرحلة ما أن تقول: هو لا شيء، فاللذائذ لا يمكن أن تمدك بمتعة مستمرة، بل بمتعة متناقصة، هذا إذا كانت في الحلال، فإذا كانت في الحرام فبعد المتعة كآبة، وشعور بالذنب، واختلال توازن، واحتقار للذات.

أنا أتحدث عن لذة بحثت عنها ضمن الحلال فتملّ، الدنيا تغر، ومعنى تغر أنها قد تبدو لك بحجم أكبر من حجمها بكثير.

كنت أروي هذه القصة كثيرا: شاب يعمل في محل تجاري، وهو ذو دعاية، فكان يكنس المحل، ويضع المخلفات في علبة فخمة، ويغلف هذه العلبة بورق هدايا غالٍ، ويضع شريطا أحمر، وكان هذه العلبة فيها قطعة ألماس عالية جداً، يضعها على طرف المحل التجاري، يمر إنسان فيظنها ألماسا، يأخذها، ويمضي سريعا، فيتبعه صاحب المحل،



بعد منتي متر يفك الشريط أولاً، وبعد منتي متر آخر يفك الورق، وفي منتي متر الثالثة يفتح العلبة، فإذا فيها قمامة المحل، فيلعن، ويسب، وما إلى ذلك، هذه خيبة الأمل التي حصلت له والله سوف تحصل لكل إنسان أحب الدنيا، وجاءه ملك الموت.

( يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَأُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدًا (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَتَاقَهُ أَحَدًا (٢٦) )

( سورة الفجر )

( رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ )

( سورة المؤمنون )

الدنيا تغر، وتضر، وتمر، الدنيا زائلة، وقد جاء في كلام سيدنا علي: << يا دنيا غرّي غيري، طلفتك بالثلاث، غرّي غيري >>، ليس معنى كلامي أن تدع الدنيا، ادرس، أسس عملا، تزوج، الزواج سنة، معنى كلامي ألا تغتر بها، ألا تظننها نهاية الآمال، ألا تظننها محطة الرحال، هي عارية مستردة.

والله هناك حديث أيها الإخوة يقصم الظهر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْعِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُفْقِدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهَرًا ؟ أَوْ الدَّجَالَ ؟ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ))

[ أخرجه الترمذي ]

هذا كلام علمي، فهل من واحد منا وأنا معكم يمكن أن يستيقظ كل يوم كالיום السابق ؟ مستحيل، هناك بوابة خروج في المطارات، أنت تخرج من هذه البوابة، الله عز وجل عنده بوابات، فالورم بوابة، الجلطة بوابة، الاحتشاء بوابة، خثرة بالدماع بوابة، فشل كلوي بوابة، تشمع كبد بوابة، حادث سير بوابة الخروج.

(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ))

- كاد الفقر أن يكون كفرًا -

أَوْ غِنًى مُطْعِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُفْقِدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهَرًا ؟ أَوْ الدَّجَالَ

- الذي يأتي إلى بلاد المسلمين من أجل الحرية والديمقراطية، وينهب الثروات، ويقتل الناس -

### **فَشْرُ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ))**

هذه هي الدنيا فدقق فيها، ربما بلغت أعلى منصب في العالم، ثم ماذا ؟ موت، الموت ينهي كل شيء، ربما جمعت أكبر ثروة في الأرض، ثم ماذا ؟ الموت، ربما استمتعت بكل مباحج الحياة، ثم ماذا ؟ الموت، ربما طفت أركان الدنيا، ثم ماذا ؟ الموت، لذلك الموت ينهي قوة القوي، وضعف الضعيف، وصحة الصحيح، ومرض المريض، وغنى الغني، وفقر الفقير، ووسامة الوسيم، ودمامة الدميم، الموت ينهي كل شيء.

هناك طرفة ثانية أروبيها دائماً عن رجل من أهل البادية له أرض شمالي جدة، فلما توسعت جدة كثيراً اقتربت من أرضه، فارتفع سعرها، نزل صاحب هذه الأرض، وباع الأرض لمكتب عقاري خبيث جداً، اشتراها بربع قيمتها، وأنشأ على هذه الأرض بناء من اثني عشر طابقاً، أصحاب المكتب العقاري شركاء ثلاثة، الأول وقع من أعلى البناء فدقت عنقه، والثاني دهسته سيارة، فانتبه الثالث، وبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر، وعثر عليه، ونقده ثلاثة أضعاف حصته، فقال له هذا البدوي: أنت أدركت أمر نفسك.

أيها الإخوة الكرام،

**(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فُقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْعِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُقْبِدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ؟ أَوْ الدَّجَالَ ؟ فَشْرُ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ))**

[ أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ]

إذًا: اللذائذ لا يمكن أن تمدك بمتعة مستمرة، بل بمتعة متناقصة، فإن كانت هذه المتعة في معصية يعقبها كآبة ومرض نفسي:

### **( أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ( ٢٢ ) )**

( سورة الزمر )

محبوس بالشقاء النفسي، محبوس بالكآبة، محبوس بالضيق، محبوس بالإحباط، محبوس بالتفاهة، أما المؤمنون:

### **( أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ( ٥ ) )**

( سورة البقرة )

الهدى يرفعهم، المهتدون على، والضالون في، في كآبة، أو في سجن، ارتكب جريمة، إما في كآبة، أو في مرض نفسي، أو في سجن، أما المؤمنون:

### **( أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ( ٥ ) )**

( سورة البقرة )

الهدى رفعهم إلى أعلى عليين.

أيها الإخوة، هناك شيء دقيق جداً، أن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، هذه السكينة صلة بالله، الشعور بالأمن الشعور وبالرضى، والتوفيق والتأييد والنصر، فاللذة إن كانت في مباح كانت متناقضة، وتمل منها، وإن كانت في معصية أعقبتها كآبة، وتحتاج إلى شيء خارجي، إلى مال.

### اللذة تحتاج إلى شيء خارجي:

بالمناسبة، قال بعض علماء النفس: تحتاج اللذة إلى شروط ثلاثة، تحتاج إلى وقت، وإلى مال، وإلى صحة، سبحان الله ! في بدايات الحياة الوقت موجود، والصحة متوافرة، لكن المال غير متوفر، يقول لك: شاب منتوف ما عنده شيء، وفي وسط الحياة استلم عملاً وصار عنده مال، وصحة، لكن ليس عنده وقت، كل يوم دوامه في المحل حتى يضبط أمره.

أقسم لي بالله رجلٌ عنده معمل نسيج، قال: والله ثلاثين سنة ما غادرت دمشق إلا إلى اللاذقية لتسلم سيارة، مرة واحدة في حياتي، الأيام كلها قابعٌ في المحل التجاري، فهناك مال وصحة، لكن الوقت مفقود، ثم تقدم في السن فسلم التجارة لأولاده، الآن هناك مال ووقت، لكن الصحة مفقودة، في جسمه خمسون علة، أسيد أوريك، وشحوم ثلاثية، والتهاب مفاصل، وديسك في الظهر، شيء لا يحتمل، ترى كل واحد الآن معه من الأدوية الشيء الكثير، قبل الأكل، وبعد الأكل، على الريق، هذه يسبقها شيء، هذه بعد شيء، بعد ذلك يأتي النعي.

أيها الإخوة الكرام، هكذا هذه اللذة، تحتاج إلى مال، وإلى صحة، وإلى وقت، وهي خارجية، وطابعها حسي، ومتناقضة، وإن كانت في معصية تعقبها كآبة.

### ٣ - السعادة تتبع من الداخل:



أما السعادة فتتبع من الداخل، فلست بحاجة إلى شيء، بحاجة إلى أن تستقيم على أمر الله، بحاجة أن تتصل بالله، بحاجة أن تذكر الله، بحاجة أن تصلي، بحاجة أن تقوم الليل، بحاجة أن تقرأ القرآن الكريم، بحاجة أن تغض بصرك عن محارم الله، بحاجة أن تضبط لسانك، لا تحتاج إلى مال، ولا إلى صحة، ولا إلى وقت، تحتاج إلى إنابة.

والله أيها الإخوة، إن لم تقل: أنا أسعد من كل الناس إلا أن يكون أحد أتقى مني، ففي الإيمان خلل، أنت متصل مع الله، وتقلق، متصل مع الله، وتخاف، متصل مع الله، وتذل، متصل مع الله، وتيأس، متصل مع الله، وتشعر بالضعف، هذا مستحيل.

السعادة تتبع من الداخل، وهي متاحة لنا جميعاً، ليس متاحاً لنا جميعاً أن نسكن في بيت فخم جداً، بيت بأربعمئة متر، ثمنه ثمانون مليوناً، هذا ليس متاحاً، والمركبة الفارهة ليست متاحة، لكن متاح لنا جميعاً أن نكون في قمة السعادة.

بالإيمان أنت أسعد الناس ولو فقد الدنيا:

والله الذي لا إله إلا هو يمكن أن تصل  
إلى قمة السعادة وأنت في السجن،  
وأغني ما أقول، ولا أبالغ.



إذا كنت في كل حال معي فعن حملي زادي أنا في غني

\*\*\*

فليتك تحلو والحياة مريرة و لبتك ترضى و الأنام غضاب  
وليت الذي بيني و بينك عامر و بيني و بين العالمين خراب

\*\*\*

فلو شاهدت عيناك من حسنا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا  
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنا  
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحي قتيلاً بحبنا  
و لو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لأجلنا

\*\*\*

سعادة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو في النار:

السكينة والسعادة والتألق وجدها إبراهيم في النار:

( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ )

## سعادة أهل الكهف في كهفهم:

السعادة والسكينة والتألق وجدها أهل الكهف في الكهف.

سعادة النبي عليه الصلاة والسلام وهو في غار ثور:

السعادة والسكينة والتألق وجدها النبي عليه الصلاة والسلام في غار ثور، يا رسول الله لقد رأونا قال:

**(( يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا ؟ ))**

[ متفق عليه ]

والله أيها الإخوة الكرام، لو أذاقنا الله طعم القرب منه لنسينا الدنيا وما فيها، من عرف الله زهد فيما سواه.

السعادة عند ماشطة بنت فرعون:

ماشطة بنت فرعون،

**(( وَ هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمُدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَأ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ، قَالَتْ: أَخْبِرُهُ بِذَلِكَ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاها، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأَحْمَيْتُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ أَحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَادِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنُنَا، قَالَ: ذَلِكَ لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْفُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيِّ لَهَا مُرْضِعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهُ افْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَافْتَحَمَتْ ))**

[ أحمد ]

النبي عليه الصلاة والسلام في أثناء العروج:

**(( لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ مَرَّتْ بِهِ رَائِحَةُ طَيْبَةٍ ))**

قال يا جبريل ما هذه الرائحة؟ قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون.

أيها الإخوة الكرام، ابحث عن الأبد، هذه الدنيا تضر وتغر وتمر، ألا ترى جنازة في الطريق؟ انتهت جميع المتع، والرجل يُحْمَلُ إِلَى الْقَبْرِ، فإما أن يكون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، هذه السعادة معك، ما تحتاج إلى مال، لا تحتاج إلى مركبة فارهة، لا تحتاج إلى بيت، لا تحتاج إلى مركز مرموق، لا تحتاج إلى امرأة جميلة، تحتاج إلى اتصال بالله. لذلك أيها الإخوة، السعادة تنبع من الداخل.

٤ - السعادة متنامية تعقبها راحة نفسية:



السعادة متنامية لا متناقصة، السعادة تعقبها راحة نفسية، وتوازن، واستقرار، وثقة، وتفؤل، ويقين، ونفس متألقة، لأنها اتصلت بالله، لذلك الآية الدقيقة، دققوا معي:

**( وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً )**

( سورة البقرة الآية: ١٦٥ )

أية قوة ؟ لماذا أكل المال الحرام ؟ من أجل أن يتزوج امرأة جميلة جداً، مهرها كبير، طلباتها كبيرة، تريد بيتاً فخماً، إذاً: أكل المال الحرام من أجلها.

**( وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً )**

( سورة البقرة الآية: ١٦٥ )

قوة الجمال التي سببك هي مسحة من جمال الله، شهوتك للمال الذي أغراك هو عطاء من الله، الله عز وجل عنده الجمال، وعنده الكمال، وعنده النوال، ونحن جميعاً نحب الجمال والكمال والنوال. إذاً: أيها الإخوة، السعادة متنامية، والله الذي لا إله إلا هو خط المؤمن البياني خط صاعد صعوداً مستمراً، والموت نقطة على هذا الخط، والصعود مستمر، فإذا عرفت فأنت في سعادة متنامية، وكلما كشف لك من كمال الله شيء تقول: الله أكبر، أكبر مما كنت أظن، أكبر مما كنت أعرف، هذه هي السعادة، السعادة قد تكون في كوخ صغير، قد تكون مع مرض عضال.

والله أيها الإخوة، حدثني طبيب عن قصة من أندر القصص، قال: جاءنا مريض مصاب بمرض خبيث منتشر في أحشائه، هذا الورم الخبيث في الأحشاء له آلام لا يحتملها بشر، قال: كلما دخل عليه إنسان عائد يراه مبتسماً، يقول: اشهد أنني راض عن الله، يا رب، لك الحمد، تماسكه عجيب. الحقيقة أنني قرأت مرة بحثاً حلت عندي مشكلة، لماذا المرض نفسه يؤلم إنساناً إلى درجة أنه يتكلم كلام الكفر من شدة الألم، وإنسان آخر ألمه واحد بالمئة والمرض نفسه ؟ العلماء قالوا كلاماً غير مقنع، قالوا: هناك عتبة للألم، أنت غرفتك لها عتبة، أمام الباب قطعة مرتفعة من الرخام، فهناك عتبة مرتفعة تعني آلاماً كثيرة، لكن لا ألم في عتبة منخفضة، هذا كلام الأطباء، لكن بعد هذا ثبت أن طريق الآلام عليه بوابات، طريق الآلام يبدأ من الأعصاب المحيطة للنخاع الشوكي للمخ إلى المخ إلى القشرة، هذا الطريق عليه بوابات، هذه البوابات إذا فتحت كانت الآلام مئة ضعف، وإذا أغلقت كانت الآلام واحداً في المئة، المقال مترجم، ويغلب على ظني أن كاتب المقال لا يعرف الله، قال: تتحكم في هذه البوابات الحالة النفسية للمريض، فإذا كان المريض مؤمناً بالله فالبوابات مغلقة، فيصل الألم بسيطاً جداً معقولاً.

هذا المريض كلما دخل عليه عائد يعوده يقول: اشهد أنني راض عن الله، يا رب لك الحمد، يقول لي الطبيب: إذا قرع الجرس يتهافت الممرضون على خدمته، والأطباء يأتون فوراً، وفي بهذه الغرفة نور، وجذب، وروحانية، إنسان معه ورم خبيث منتشر ولا يصيح، بل يقول: يا رب، لك الحمد، قال لي: جلس سبعة أيام، ثم توفي، لكن مات بحالة حلوة جميلة، مات بحالة راقية جداً، قال



لي: لحكمة بالغة جاء إلى هذا الغرفة إنسان مريض بالمرض نفسه، ورم خبيث في الأحشاء، قال لي: ما من نبي إلا سبّه، يا لطيف، يكفر كفراً، يصيح، يشتم، يقذف بالسباب كل من رآه، فإذا قرع الجرس لا يأتيه أحد، الغرفة مظلمة مخيفة، غرفة كفر، غرفة سخط، مع أن المرض نفسه. أيها الإخوة، السعادة تتبع من الداخل، ولا تحتاج إلى شيء مادي، قد تكون أسعد الناس في كوخ. والله مرة كنت في مؤتمر إسلامي في المغرب في أكبر فندق في الدار البيضاء، عند الفجر سمعت قرناً يُتلى، والله أبكاني، نظرت من الشرفة فإذا عامل الحقائق يصلي الفجر في وقته، وله صوت حسن، قلت: يا رب، لعل هذا العامل أقرب إليك من كل أعضاء المؤتمر، المؤتمر إسلامي، الصلة بالله لها ثمن، ثمنها أن تكون محباً لله، أن تكون مستقيماً على أمره.

### الشهوة إذا كانت هدفاً كانت ألماً:

تعلقوا بالسعادة أيها الإخوة، هناك فيلسوف من مصر يقول: مبدأ اللذة إذا كان هدفاً أصبح مبدأ ألم. أنت تتصور إنساناً دخله مليون في الشهر، ومعه كآبة، وينتحر بعد ذلك، أعلى نسب الانتحار في العالم في أغنى البلاد في العالم، الذي صمم ثاني أطول جسر في العالم يعبره ثلاثمئة ألف سيارة مهندس ياباني، في أثناء قص الشريط ألقى بنفسه في البوسفور، ذهبوا إلى غرفته، فكتب على ورقة: " ذقت كل شيء في الحياة فلم أجد لها طعماً، فأردت أن أذوق طعم الموت ". الحياة ليس فيها شيء، أكاد أقول لكم: سافرت كثيراً شرقاً وغرباً، وجدت صفة مشتركة في العالم الشرقي والغربي، إنسان بلا هدف، هو غني ما عنده مشكلة، ولأن ما عنده مشكلة فهذه أكبر مشكلة، حياة مملّة، أليف كل شيء، أكل، شرب، شاهد أفلام، وبعد هذا؟ والله أيها الإخوة، هؤلاء الذي ينجحون في حياتهم المادية يأتي وقت لا يحتملون ولا يُحتملون، فهم في ملل، وضجر، وسأم.

أيها الإخوة، الحقيقة أن الإنسان إذا لم يعرف الله عز وجل يصبح مبدأ الشهوة عنده مبدأ ألم، لماذا؟ لأنه بلا منهج، وسوف يعتدي، وحينما تعتدي، عندك زوجة، وإذا لم تكن لك زوجة كانت لك عشيقة، هذه العشيقة فتاة كان من الممكن أن تكون أمّاً عندها أولاد، عندها أصهار، هي أمّ محترمة، زوجة محترمة، أفسدها هذا الشاب، فنقلها من امرأة شريفة إلى امرأة ساقطة، عنده ضمير، عنده فطرة سليمة، هذه الفطرة تعذبه، فلذلك أي إنسان يتفقت من منهج الله يعاني من أمراض نفسية، أولها الكآبة، ثانيها اختلال التوازن.

( وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ (٧٤) )

( سورة المؤمنون )

( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى )

## المصائب نتائج حتمية للمعاصي:



المصائب نتائج حتمية للمعاصي

ذكرت شيئاً: المصائب في الدنيا ليست عقاباً، وليست انتقاماً، وليست تشفيماً، بل هي نتائج علمية للمعاصي والآثام، وكما أن المركبة علة صنعها السير، فلا بد لها من مكبح يتناقض مع علة سيرها، والمكبح ضروري، هو أخطر ما في المركبة، مع أنها صنعت من أجل أن تسير، والمكبح يتناقض مع علة سيرها، لهذا لما يختار الإنسان الشهوة المحرمة فأمامه سلسلة معالجات تحدثنا عنها في درس سابق، منها الهدى البياني، والتأديب التربوي، والإكرام الاستدراجي، والقصم.

## ٥ - متعة الشهوة زائلة والمسؤولية باقية، والمجاهدة في الطاعة زائلة والتكريم باق:

أيها الإخوة الكرام، المتع في المعاصي زائلة والمسؤولية باقية، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

الآن المجاهدة في الطاعات زائلة لا تستمر، بل تنتهي، والتكريم باق، المتعة آنية وزائلة والمسؤولية باقية، والمجاهدة في الطاعة زائلة ومنقضية والتكريم هو الباقي.

لكن أدق كلام أن في أنفسنا جميعاً فراغاً لا يمكن أن يملأ إلا بمعرفة الله، المال لا يملؤه، ولا المنصب، ولا اللذة، ولا المتعة، هذا الذي نسعى إليه كي نملأ فراغ الإيمان.

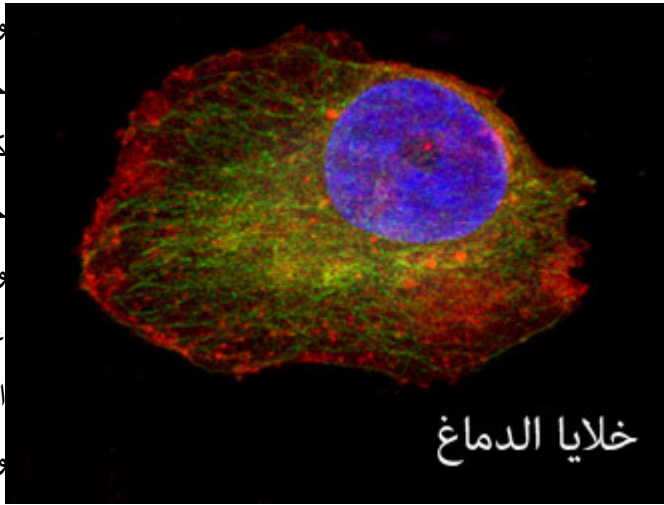
مرة كنت في بلد في أمريكا، وفي مدينة إلى جانب مدينة إقامتي اسمها توليدوا اتصلوا بي وطلبوا زيارة، أول سنة اعتذرت، والثانية اعتذرت، والثالثة اعتذرت، الرابعة ذهبت، بعد أن انتهت المحاضرة والله الذي لا إله إلا هو قال لي أخ: أنا أخو فلان، وفلان صديقي، قال: تعرف كم مسافة قطعتُ وقدتُ مركبتي كي أستمع لهذه المحاضرة؟ قلت له: كم؟ قال ستمئة ميلاً، أي ألف كيلو متر، هناك تصحر، إنسان يقود مركبته ألف كيلو متر ليستمع إلى محاضرة، نحن في الشام دروس، خطب، ندوات من فضل الله، العلم ثمين جداً، أنت حينما تعرف الله فقد وصلت إلى كل شيء، وإذا غابت عنك حقيقة الإيمان فما وصلت إلى شيء.

مرة أخيرة، يا رب، ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟ وإذا كان الله معك فمن عليك؟  
وإذا كان عليك فمن معك؟

## الموضوع العلمي: خلايا الجسم تتبدل كلها إلا...

### ١ - خلايا الدماغ:

وننتقل أيها الأخوة إلى موضوع علمي جديد، كلكم يعلم أن جسمك يتبدل تبديلاً كلياً كل خمس سنوات، لأن أطول عمر خلية الخلية العظيمة، خمس سنوات، وأقصر عمر خلية خلية زغابة الأمعاء، عمرها ثمان وأربعون ساعة، زغابات الأمعاء تتبدل كل ثمان وأربعين ساعة، والخلايا العظمية تتبدل كل خمس سنوات، أما أنت أيها الإنسان فبجسمك



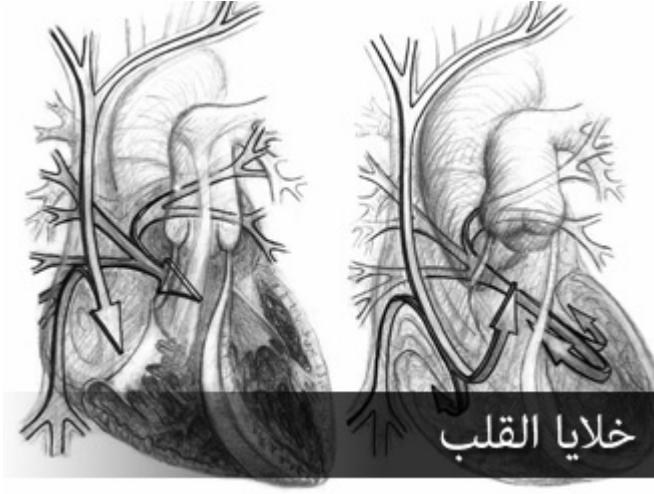
تتبدل كلياً كل خمس سنوات، لا الجلد هو هو، ولا الشعر هو هو، ولا شيء بجسمك هو هو، كل شيء يتبدل إلا خلايا الدماغ وخلايا القلب.

في الدماغ ذاكرتك، خبراتك، مهاراتك، معلوماتك، كل شيء حصلته في حياتك مودع في الدماغ، معارفك، أولادك، أصدقاءك، أقرباءك، اختصاصك، أنت طبيب، كل المعلومات في الدماغ، لو تبدل الدماغ ماذا كنت تعمل؟ أنا كنت طبيبا، الآن أنا أمي، شيء لا يحتمل، ضاعت ذاكرتك، ما عرفت أولادك، نسيت معلوماتك، فقدت اختصاصك، فقدت الدكتوراه.

جاء رجلٌ من أمريكا أصيب بفقد الذاكرة، دخل عليه ابنه، قال له: من أنت؟

أحد إخواننا الكرام توفاه الله، قبل أن يموت خرج من معمله باتجاه بيته في المهاجرين، نسي بيته، بقي ساعتين، لكنه يعلم بيت ابنه في الجسر، ذهب إليه، قال: يا بني، أين بيتي؟ فقد ذاكرته.

لو أن إنسانا يتبدل دماغه لخسر كل شيء، خسر دراسة ثلاثٍ وثلاثين سنة، فالدماغ لا يتبدل، والحكمة واضحة جداً وضوح الشمس، هذا شيء قديم ذكرته لكم.



أما الشيء الجديد أن القلب أيضاً لا يتبدل، لماذا؟ ما كنت أعلم، لكن الآن ثبت أن القلب مكان المشاعر والأذواق والميول، كيف عرفوا هذا؟ بعد أن استطاع الإنسان أن يزرع قلب إنسان في إنسان آخر، رجل في الثمانين قلبه معطوب، شاب مات بحادث، أخذوا قلب الشاب إلى هذا المتقدم بالسن، هذا المتقدم بالسن عاش بالأربعينات، حيث

كانت الموسيقى الكلاسيكية، وجد نفسه يحب موسيقى الجاز، ليس معقولاً، تبدل في الميول عجيب، وجد نفسه يحب أكالات معينة، ما كان يحبها سابقاً.

في العالم الآن ثلاثة وسبعون حالة زرع قلب، القصص التي تروى عن أحوال هؤلاء الذين أخذوا قلوب الآخرين شيء ممتع جداً:

إنسان زرع له قلب إنسان يتكلم كلاماً ليس له معنى، كلمة ليس لها معنى، من شدة قلقه اتصل بزوجة الذي أخذ قلبه، قالت له: هذه كلمة سر بيننا، تعني أن كل شيء على ما يرام، وبعض الأشخاص يحب أغاني ما كان يحبها من قبل، طبعاً القصص طويلة وممتعة، هذه كلها نجدها في مراجعها.

صار القلب مركز الأحاسيس والمشاعر والأذواق، لو تبدل يكون الإنسان الذي كان يحب أن يسمع القرآن الكريم فرضاً يصبح يحب أن يسمع شيئاً ثانياً، أما الله عز وجل فنثبت القلب في خلاياه. أنا كنت أظن أن هذا القلب الصنوبري لا علاقة له بموضوع القلب في القرآن الكريم، والله أنا كنت أقول: إن هذا القلب الصنوبري مضخة، أما القلب الذي ورد في القرآن الكريم فهو قلب النفس، الآن ثبت أن القلب الذي ورد في القرآن الكريم هو هذا القلب نفسه، هذا مكان المشاعر والأحاسيس والأذواق، والحديث طبعاً طويل، ويمكن أن أروي لكم ثلاثاً وسبعين قصة عن أشخاص زرعت قلوب لهم، وانتقلت أحاسيس الآخرين إليهم وأذواقهم ورغباتهم وميولهم.

أخطر شيء في هذا الموضوع أن الله ثبت أن حول القلب خلايا عصبية إدراكية، قدراتها تفوق خمسمئة ضعف، وأن هذه الخلايا تأمر الدماغ، وأن الدماغ محكوم بالقلب، هذا بحث يمكن أن تراه في الإنترنت، والذين اكتشفوه لا علاقة لهم بالدين إطلاقاً.

## ( سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ )

( سورة فصلت الآية: ٥٣ )

هناك خلايا عصبية محيطة بالقلب، وقدرتها أضعاف مضاعفة عن خلايا الدماغ، بل هي تحكم معظم خلايا الدماغ.

زارنا عالم من علماء الدين والدنيا، وذكر هذه المعلومات، أنا تابعتها في الإنترنت فوجدتها صحيحة كما قال.

أيها الإخوة الكرام، كلما تقدم العلم كشف عن جانب من عظمة هذا القرآن الكريم ، كلما تقدم العلم تبين أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

## ( فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ )

( سورة الواقعة )

### خاتمة:

الآن هناك نجوم تبعد عنا أربعة وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، أو أربعة وعشرين مليار سنة، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر، بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربع وعشرين، بالسنة ضرب ثلاثمائة وخمسة وستين، بأربعة وعشرين ألف مليون سنة.

## ( فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ )

( سورة الواقعة )

جواب القسم:

## (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧))

( سورة الواقعة )

الإعجاز العلمي محوره أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن. إن شاء الله في دروس قادمة نتابع في العشر دقائق الأخيرة من كل درس موضوع في الإعجاز العلمي.

والحمد لله رب العالمين